

— اللغة العامية واللغة الفصحى —

(تابع لما في الجزء السابق)

واما الامر الثاني وهو قصور الفاظ اللغة عن أداء الاغراض العلمية والصناعية وسائر المواضع العصرية فما لا خلاف فيه ولا ينكره اويستخف بجاجتنا الى تداركه الأ من غابت عنه احوال العصر ولم ير من الكتب الا ما انتهى اليها من بقايا صحف الغابرين ولم يعلم من الشؤون الاجتماعية الا ما يقرأه في جرائد الاخبار وكتب الروايات . ولو تسنى لبعض ادباءنا ان يقرأوا شيئاً من المجلات العلمية التي تصدر تباعاً من الآفاق الاوربية والاميركية او يتصفحوا كتاباً من الكتب العلمية او الصناعية في احدى لغات اولئك الاقوام ويروا ما هنالك من غرائب المصطلحات التي لم يمر طينها بخلد احد من واضعي لغتنا ولا نجد فيما وضعوا لفظاً يعبر به عن شيء منها لارتفع لهم شيء من ذلك الحجاب ولعلموا ان ما يتعلون به من الدعاوي الفارغة بموهون بها على انفسهم وعلى القراء ليس الا ضرباً من التغرير والاستسلام للقدر حتى يقضي قضاءه على ايديهم ويتخذهم اعواناً على انفسهم وعلى بلادهم . بل حسب من ذهب به الغرور هذا المذهب ان يزور احد باعة البضائع الافرنجية ويسأله عن اسمائها ثم ينظر بم يسميها من اوضاع لسانه بل حسب ان يدخل ردهة منزله ويتفقد ما فيها من المرافق وادوات الزينة ثم ينظر هل يجد لشيء منها اسماً عربياً . فان قال ولكن هذه من مصنوعات الاجانب وُلدت عندهم وسميت بالفاظهم قلنا فهل وُلدت السنننا عندهم ايضاً والا فإين ما ندعيه من اتساع لغتنا ووفرة موادها وصلاحيتها لتمثيل كل ما يراد من

المعاني . على ان كل جديد اليوم يأتينا من عندهم فان سمينا كل ما نتناوله عنهم بلفظه الموضوع في لسانهم فعلى لغتنا السلام وحينئذ فلا نقف عند حد استبدال اللغة العامية من الفصحى ولكن تصبح لغتنا خليطاً من العربية وسائر اللغات الافرنجية على ما تقدمت لنا الاشارة اليه وعلى ما نرى مثله اليوم في الاحاديث اليومية حتى في لغة الفلاح اذا سمى بعض ادواته فضلاً عن المباحث العلمية

على ان دعوانا اتساع اللغة مما لا ينكره علينا منكر ولكن معنى اتساعها أن في اوضاعها ما يتسع لأن يشتق منه الفاظاً لما شئنا من المعاني لا أن كل معنى له لفظ موضوع لان اصحاب اللغة لم يتنبأوا بما سيحدث بعدهم من المسميات حتى يضعوا لها اسماً قبل وجودها . ولذلك لا بد لنا من النظر في وضع ما لم يضعوه واستدراك ما فاتهم مما حدث في العصور المتأخرة ولا يكفيها في هذا المقام ان نقول ان لغتنا كانت في بعض ما مر بها من العصور لغة علمية فان العلم اليوم غير العلم في الزمن الاول فهو لا يتلقى عن الاولين تلقي الاقوال المنزلة فضلاً عن ان يبقى محصوراً في الحدود التي بلغوا اليها ولكن هذا العصر عصر بحثٍ وتنقيب وقد انقلب فيه العلم وتبدلت حقائقه ومصطلحاته حتى لم يبق مما قرره الاولون الارسوم واطلال فضلاً عما احدثه المتأخرون مما لم يكن للسابقين به عهد . وهذا قانون ابن سينا المشهور كان يُعتبر الى زمن قريب مجموع العلوم الطبيعية بأسرها وكان اليه مرجع جميع الاطباء والمصنفين في الشرق والغرب ومن زاد عليه شيئاً لم يتعد شرح بعض مسائله أو اختصار بعض فصوله ومثله كتاب المجسطى لبطلماوس في

علم الهيئة وكتب ارسطاطاليس في الفلسفة ولكن هذه الكتب لم يبق لها ذكر اليوم الا في برناجيات المكاتب القديمة ولا يطلب علماء هذه الايام الوقوف عليها الا بقصد الاطلاع على الشيء الغريب كما يجب احدنا الاطلاع على عوائد اهل الصين مثلاً . ولذلك فان ما وضعه السلف من الالفاظ العلمية لا يكاد يغني عنا شيئاً من المطالب العصرية حتى في العلوم التي بحثوا فيها ولكنه لا ريب الدليل المقنع على ما ذكر من ان اللغة لا تضيق عن حاجتنا والحجة الناطقة بتقصير ائمة العلم منا واستسلامهم بأفضل ذخائرهم لعوامل الضياع . على أننا اليوم في اول شوطنا وقد قرع اسماعنا من التنبيه ما يكفي لأن يوقظنا من غفلتنا ويحثنا على المبادرة الى سد هذه الثلثة وتدارك اللغة من القوات فان فعلنا والا لم تلبث ان تلحق باللغات الغابرة ولا يبقى منها الا ما حفظته الخزائن من مصاحف الاولين

وما استغربنا في هذا المقام الا كلاماً لبعض مكاتبي المؤيد يقول فيه ما نصه « واما اقتراح بعض الافاضل "تشكيل" جمعية لاستبدال الكلمات الاعجمية بما يرادفها من الكلمات العربية فهذا امر لا طائل تحته ( ! ) فان تشكيل جمعية لاجل تعبير نحو مئة كلمة ( كذا ) فهذا يمكن "لجريدة" مثل جريدة المؤيد ان تقوم به « .....

واغرب من هذا ما جاء لمكاتب آخر في العدد التالي قال ما حرفيته « وقبل وضع القلم لا بد من التكلم على امرين الاول تعديل اقتراح ذلك الفاضل في المؤيد بأن كل كاتب ممن "نوه عنهم" المقترح يكتب للمؤيد كل ما يراه بهذه الصدد وأقترح مع هذا ان يكون المؤيد حكماً . . اما انتظار

تأليف جمعية فأمرٌ يطول واليك ما ارأه

« تسمى عربية أو توموييل (جوابة) وعربة الترامواي (سيارة)  
والتلغراف بسلك (برق) والتلغراف بدون سلك (لمح) أو (شعاع)  
والتلفون (سفير) أو (الناقل) أو (النمام) والفتوغراف (سمير) والفتوغرافية  
(عين) أو (رصد) والسنتموغرافية (خيال) . . والياقة (رقبية) والحرملة  
(كثفية) والبنطو (ظهري) والبنطلون (ساقان) كخاقان « . . . . .

كذا ما قرأناه بحرفه ورسمه . فانظر بعينك هل سمعت قط  
أو كنت نترب ان تسمع مثل هذا الكلام واذا كان هذا جل ما تنتظره  
الامة من علماءها وكتابها في مثل هذا المعترك فيا لفشل الامة ويا لضيع اللغة  
بل هي البشرية للمستمر ولمور واصحابه بحز وجههم من هذا المجال فأتربن . . .  
والا أفليس من الغريب ان يُشر مثل هذا الكلام في جريدة هي اشهر  
جرائد العربية واشيعها ثم لا يوجد بعد نشره من يردّ هذا القائل الى هداة  
ويدفع عن القراء هذا التعرير الفاضح ولا سيما والمقام مقام مناظرة او كما  
يعنونه المؤيد تنازع بقاء والخصم واقف بالمرصاد يرمينا بالجهل والغباوة

كلاهما الكاتب الخبير انها ليست «مئة كلمة» كما توهمت بل لو نظرت  
في احدى المجالات العلمية وقرأت انباء ما يحدث كل يوم عند اولئك القوم  
من فنون الاختراع وضروب الاكتشاف لوجدت المئة كلمة في جزء واحد  
منها . ولا تكافك الوقوف على معاجم المصطلحات العلمية والصناعية واصغرُها  
كمعجم بوليأي المطبوع منذ نحو اربعين سنة يبلغ لا اقل من ١٨٠٠ صفحة  
كبيرة بالحرف الدقيق تتضمن الصفحة لا اقل من ٦ الى ١٠ كلمات هي

رؤوس المواد فضلاً عما يتخال شرحها من التفاصيل وكل ذلك لا تجد عندنا منه ما يملأ عشرين صفحة والباقي مما يتعين علينا ترجمة بعضه وتعريب البعض الآخر . ولا نذكر ما حدث في مدة هذه الاربعين سنة التي اربت الاختراعات والاكتشافات فيها على كل ما سبق منها في السنين الغابرة ولا سيما في فني الكيمياء والكهربائية مما لا يدخل تحت حصر ولا تزال حلقاته متتابعة الى هذا اليوم . وحسبنا من ذلك ان نشير الى كتاب موسوعات العلوم الكبير الذي شُرع في طبعه منذ سنوات بالغة الفرنسية وقد بلغ الى الآن نحواً من خمسة وعشرين مجلداً كل مجلد منها لا تقل صفحاته عن الف صفحة كبيرة غالبها فيما ذكر وهو لم يبلغ ختامه بعد . على ان مؤلفيه لم ينتهوا الى ما وصلوا اليه اليوم حتى صار يلزمهم ان يرجعوا فيه على حافرتهم ويزيدوا عليه ما حدث بعد طبع ما طبع منه ثم هلمَّ جرّاً بعد ذلك الى ما يعلم الله حده . ومع هذا كله فان من ادبائنا من يقول ان تأليف جمعية لتعريب الالفاظ التي فاتتنا امرٌ لا طائل تحته وهل من طائل اعظم من هذا ان استطعنا ان نبلغ منه ولو القدر الذي تدعو اليه أمس حاجاتنا الحاضرة وكان فينا رجالٌ قوامون بمثل هذا العمل الكبير . ام سبق الى وهم هذا الكاتب ان كل جمعية لغوية — بل كل جمعية وطنية — تكون على مثال « الجمع اللغوي » المشهور . . . اللهم ان كانت الجمعية التي أُشير بعقدتها ستجري على خطة الجمع المذكور فنحن اول من يشير بتركها تقادياً من تجديده ذلك الوسم المغيب والجمع بين عار التقصير وعار النشل

( ستأتي البقية )